الفصل الثالث

حقوق كل من الزوجين قِبَل الآخر

أولا : حقوق الزوجة على زوجها :

يجمُل بنا أن نوضح وصية رسول الله – ﷺ – بالنساء فى خطبة حجة الوداع ، التى فيها يقول : « أيها الناس ، إن لنسائكم عليكم حقًا ، ولكم عليهن حقًا ، لكم عليهن ألَّا يُوطئن فُرشكم أحدًا تكرهونه ، وعليهن ألَّا يأتين بفاحشة مُبينة ، فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تهجروهن فى المضاجع ، وتضربوهن ضربًا غير مبرح ، فإن انتهين فأطعنكم فعليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف ، واستوصوا بالنساء خيرًا فإنهن عندكم عَوَان (أى أسيرات) لا يملكن لأنفسهن شيئًا ، إنما أخذتموهن بأمانة الله ، واستحللتم فروجهن بكلمة الله ، فاتقوا الله فى النساء ، واستوصوا بهن خيرًا » .

كما أوْصَى النبى – ﷺ بهن خيرًا فى أكثر من موضع ، وفى أكثر من مناسبة ، وبيان هذه الحقوق على النحو التالى :

١ – تعليمها ما تحتاج إليه فى دينها ودنياها :

وقد آثرت البدءَ بذكر هذا الحق لأهميته ، ولانشغال الناس عنه بغيره من الحقوق ، واطِّراحِهِمْ له وراءهم ظهريًّا ، حتى أصاب العلاقات الزوجية من الخلل ما أصابها ، فعلى الزوج أن يعلم زوجته ما تحتاج إليه فى دينها كأحكام الطهارة : مثل الغسل من الحيض والنفاس والجنابة والوضوء والتيمم ، والعبادات : كالصلاة

والصيام والزكاة والحج ، وأن يعرفها ماهو فرض ، وماهو واجب ، وماهو سُنة ، ويعلمها ما تحتاج إليه فى علاقاتها مع الناس : من السلام والكلام ، وحدود المخالطة ، وحدود العورة وحكم سترها ، وعدم السفر إلا بنحو مَحْرم أو رُفْقَةٍ مأمونة ، وأن يعلمها حقوق الجيران واليتامى والمساكين ، وما إلى ذلك مما لابد من التنبيه عليه والإرشاد إليه ، ومتابعة تنفيذ ذلك بكل دقة وصدق واقتناع ، وأن يرْفِق بها فى التعلم وفى العمل ، فذلك خير لها فى الأولى والآخرة ، ولا يصح للمرأة أن تتأبى على تعلم هذه الأمور أو مراجعتها بقصد التثبت منها ، بحجة أنها امرأة عصرية مثقفة ، وأن الأخذ بهذه الأمور يخضع للحرية الشخصية ، أو يندرج تحت أى اسم من المسميات الوافدة التى تسللت إلى مجتمع المسلمين فأحدثت فيه بين الفتن ما أحدثت ، ونصوص الشريعة متضافرة ومتوافرة فى بيان هذا الموضوع .

- يقول الله – تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا قُوا أنفسكم وأهليكم نارًا وقودها الناس والحجارة ﴾ (١) .
- يقول رسول الله – ﷺ – : « اللهَ اللهَ فى النساء ، فإنهن أمانات عندكم ، فمن لم يأمر امرأته بالصلاة فقد خان الله ورسوله » (٢) .
- يقول الله – تعالى : ﴿ وَأْمُرْ أهلَكَ بالصلاة واصطبر عليها ﴾ (٣) .
- وفى الحديث : « رحم الله رجلًا قال : يا أَهَيْلاَه صلاتَكم ، صيامَكم ، زكاتكم ، مسكينكم ، يتيمكم جيرانكم لعل الله يجمعكم معهم فى الجنَّة » (٤) .

---

(١) سورة التحريم ، جزء من الآية : ٦ .
(٢) انظر عقود اللُّجَيْن فى بيان حقوق الزوجين .
(٣) سورة طه ، جزء من الآية : ١٣٢ .
(٤) عقود اللجين فى بيان حقوق الزوجين .

ولا تعارضَ فى التَّنْصِيص على هذه الأمور الدينية مع اشتراط تَدَيُّن الزوجة ، فإنها قد تكون متدينة جملةً لا تفصيلا ، أو إن كانت تعرف هذه الأشياء فيكون تعليمها إذًا من باب المراجعة والتأكيد وإبْرَاء الذِّمة .

٢ - معاشرتها بالمعروف :

ويقصد بذلك حُسن عشرة الزوجة ، بدءاً من الملاطفة والقول الجميل ، ومرورًا بالرعاية والنفقة ، والعدْل فى كل ذلك عند تعدد الزوجات ، فيعدل بينهن فى المبيت والنفقة وسائر المتطلبات ، مع عدم الميْل والجَوْر ، قال الله تعالى : ﴿ وعاشروهن بالمعروف ﴾ (١) .

وقال عز منْ قائل : ﴿ ولهنَّ مثلُ الذى عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة ﴾ (٢) . ويقول رسول الله - ﷺ - : « أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خُلُقًا ، وخياركم خياركم لنسائهم » (٣) . وقال أيضًا : « إن خيركم خيركم لأهله ، وأنا خيرُكم لأهلى » . وكيف لا يكون الأمر كذلك ، وقد وصف الله - تعالى - عقْد الزواج بأنه ميثاق غليظ : (وأَخَذْنَ منكم ميثاقًا غليظا) (٤) ؟

كما بيَّن الرسول أن الإساءَةَ إلى الزوجة بضَرْبِها أمرٌ مَعِيبٌ ، لا يتأتى معه حُسن العشرة ، فيقول : « لا يَجْلِدْ أحدُكم امرَأتَهُ جَلْدَ العَبْد ، ثم يجامعها آخِرَ النهار » .

٣ - مراعاة شعورها :

يجب على الزوج أن يحترم مشاعر زوجته ، ويحافظَ على شعورها ، وأن

---

(١) سورة النساء ، جزء من الآية : ١٩ .
(٢) سورة البقرة ، جزء من الآية : ٢٢٨ .
(٣)(٤) سورة النساء ، جزء من الآية : ٢١ .

يتصرف معها التصرفَ اللائِقَ ، احتراماً لإنسانيتها ، وصَوْناً لآدميتها ، وأن يعاملَها بسياسة وكياسة ، استبقاءً لوُدها ، وتحريضًا لها على انطلاق ملكاتها الخيِّرة ، وإنى ضاربٌ لك مثالًا من هدى النبوة ، تتضح لنا من خلاله هذه الصورة فى وضوح واضح ، وبيان بيِّن ، وجلاء جَلِىّ :

عن عطاء بن أبى رباح ، قال : انطلقتُ يومًا أنا وعبيد بن عمير إلى عائشة – رضى الله عنها – فَكَلَّمَتْنَا وبيننا وبينها حجاب فقالت : يا عُبَيْدُ ما يمنعك أن تزورَنا ؟ قال : قولُ رسول الله – ﷺ : « زُرْغِبًّا تَزْدَدْ حُبًّا » ، قال ابن عمير : فأخبرينا بأعجبِ شىء رَأَيْتِهِ من رسول الله – ﷺ – ، قال : فَبَكَتْ ، وقالت : كل أمره كان عجبًا ، أتانى فى ليلة حتى مسَّ جلدُه جلدى ، ثم قال : ذَرِينِى أَتَعَبَّدْ لِرَبِّى – عز وجل – فقام إلى القربة فتوضأ منها ، ثم قام يصلى ، فبكى حتى بلَّ لحيته ، ثم سجد حتى بلَّ الأرضَ ، ثم اضطجع على جنبه ، حتى أتى بلالٌ يؤذن بصلاة الصبح ، فقال : يارسول الله ما يبكيك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟! فقال : وَيْحَكَ يا بلال ، وما يمنعنى أن أبكى وقد أنزل الله علىَّ فى هذه الليلة : ﴿ إن فى خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب ﴾ (١) ، ويلٌ لمن قرأها و لم يتفكر فيها » (٢) . وغاية التفكر فيهن أن يقرأهُنَّ ويعقلهن ، كما حكى الأوزاعى .

فأنت ترى أن النبى – ﷺ – حينما أراد أن يقوم للعبادة بعد أن أَنِسَتْ إليه زوجته ، ومس جلْدُه الشريف جلدَها لم يتركها بغتة ، و لم يتجاهل عواطفها ، وإنما استأذنها : « ذرينى أتعبد لربى » .

---

(١) سورة آل عمران : ١٩٠ .

(٢) رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب التفكر .

٤ – عدم إفْشَاءِ سِرِّهَا :

فقد قدَّس الرسولُ أسرارَ الزوجية ، واحترمَ أسرارَ الزوجة فى علاقتها برجلها ، فَشَدَّدَ النَّكِيرَ على من يُفْشِى شيئًا من هذه الأسرار فقال : « إن من أشَرِّ الناس عند الله منزلة يوم القيامة ، الرجلُ يُفْضى إلى المرأة وتُفْضِى إليه ثم ينشر سرَّها » (١) .

وفى حديث آخر : « إنما ذلك مثل شيطانة لَقِيَتْ شَيْطَانًا فى السِّكَّة فَقَضَى منها حاجَتَه والناس ينظرون إليه » (٢) .

٥ – الوفاء لها :

لقد حضَّت الشريعة على وفاء الزوج لزوجته ، كما طالعتنا السيرة العطِرة بصُوَر وضيئة لوفاء رسول الله – ﷺ – فى هذا المجال فقد روت السيدة عائشة – رضى الله عنها – أن عجوزاً جاءت إلى النبى ، فقال لها : من أنت ؟ فقالت : جُثَامَةُ المُزَنيَّة ، قال : أنت حَسَّانَة ، كيف أنتم ؟ كيف حالكم ؟ كيف كنتم بعدنا ؟ قالت : بخير بأبى أنت وأمى . فلما خرجت قلتُ (أى عائشة) : يارسول الله لِمَ تقبل على هذه العجوز هذا الإقبال ؟ قال : إنها كانت تأتينا زَمَنَ خديجة ، وإن حُسْنَ العهد من الإيمان ، قالت عائشة : ما غِرْتُ على أحدٍ من نساء النبى ما غرتُ على خديجة ، وما رأيتها قط ، ولكن كان الرسول – ﷺ – يكثر ذِكْرَها ، وربما ذبح الشاة ثم يقطعها أجزاءً ، أو أعضاءً ، ثم يبعثها فى صدائق خديجة ، وربما قلت له ، كأن لم يكن فى الدنيا امرأة إلا خديجة ؟ فيقول :

---

(١) رواه أحمد ومسلم .

(٢) رواه أحمد وأبو داود من حديث أبى هريرة .

إنْ كانت وكانت ، وكان لى منها ولد ، خير نسائها مريم بنة عمران ، خير نسائها خديجة ، وأشار إلى السماء والأرض .

فعلى المرأة إذا أرادت أن تحظى بهذا الود ، وتتبوأ هذه المكانة ، أن تحسن عشرة زوجها ، وأن تقوم بواجبه على نحو ما أوجبه الشرع القويم .

تلكَ شَذَرَاتٌ من هَدْى الإسلام نحو ما أوجَبه الله – تعالى – للزوجة على زوجها ، ولما بينه من عظيم حرمتها ؛ ذلك لأن أولَ ما يُسْأَلُ عنه الرجل يوم القيامة الصلاة ثم زَوْجَاتِه ، فمن ظلم زوجته أو غَبَنَها فقد أسَاءَ وأخْطَأَ ، وعرَّضَ نفسه لطائلة مُؤَاخَذَةِ الله . ﴿ ومَنْ أَوْفَى بما عاهد عليهُ اللهَ فَسَيُؤْتِيهِ أجْرًا عظيمًا ﴾ (١) .

* * *

(١) سورة الفتح ، جزء من الآية : ١٠ .

ثانياً : حقوق الزوج على زوجته :

وكما أوجب الإسلام للمرأة حقوقًا على زوجها ، فقد أوجب للزوج حقوقًا على زوجته ، لكى يستقيم أمر الأسرة ، وتعطى أطيب الثمرات ، ومما لا شك فيه أن واجبات كل من الزوجين تتناسب مع طبيعته وفطرته التى فَطَرَهُ الله عليها ، وأى خروج على ذلك يعتبر سبيلًا من سُبل هدم الأسرة واستقرارها ، وسنذكر جانبًا من حقوق الزوج على زوجته فيما يلى :

١ - القوامة :

ولقد اقْتَضَتْ حكمة الله - تعالى - أن يكون زِمَامُ أَمْرِ الأسْرةِ فى يد الرجل ، لما حَبَاه الله به من قوة وجَلَد ، وقدرة على السعى فى الأرض ، والقِوَامَةُ تعنى إسْنَادَ إدارة الأسرة وتصْريف شئونها وتوجيه أفرادها إلى كل ما يحقق لهم الخير فى الدنيا والآخرة إلى رب الأسرة وهو الزوج ، فهى بهذا المفهوم إلزام للرجل بالكَدْحِ ، وَدَفْعُ له إلى العمل والكفاح ، وهى أيضًا تكليف وأعباء ، وهى مع هذا تُسَاوِقُ الفطرة وتأتلف معها ، يقول الله تعالى : ﴿ الرجال قَوَّامُوَن على النساء بما فَضَّلَ الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم ﴾ (١) ، ويقول عز من قائل : ﴿ ولهُنَّ مثل الذى عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة ﴾ (٢) .

فذلك حق طبيعى للرجل السَّوِىّ ، وليس فيه أَدْنَى شائبة تسَلُّط أو عَسْفٍ أو افْتِيَات على حق المرأة وكرامتها ، فليس الأَمْرُ سوى تحديدٍ للمسئوليات ، تكليف للقادر ، وإعفاءٌ للضعيف من تحمل الجهد ، وعناء الحياة الشاق .

---

(١) سورة النساء ، جزء من الآية : ٣٤ .

(٢) سورة البقرة ، جزء من الآية : ٢٢٨ .

بل إن التفريط فى هذا الحق من جانب الرجل ، وجَعْلِ الزوجة تتصرف كما يَحْلُولها بدون ضابط أو رابط ، أمرٌ يستوجب اللعنة ، ويمحق بركةَ الأرزاق ، عن ابن عمر قال : سمعت رسول الله - ﷺ - يقول : « يكون فى آخر أمتى رجال يركبون على سُرُج كأشباه الرجال ، ينزلون على أبواب المساجد ، نساؤهم كاسيات عاريات ، على رءوسهن كَأَسْنِمَةِ (جمع سِنام) البُخُت العِجَاف ، الْعَنُوهُنَّ فإنهن ملعوناتٍ ، لو كان وراءكم أمّة من الأمم خدمتهن نساؤكم كما خدمكم نساء الأمم قبلكم » (١) .

٢ - الطاعة المطلقة فى غير معصية الله :

لقد أوجب الله طاعة الزوج على زوجته ، فى كل ماليس فيه معصية الله أو مخالفةٌ دِينِيَّةٌ ، كِفعل منكر أو تَركِ عبادة ، قال رسول الله - ﷺ - : « لا طاعَةَ لمخلوق فى معصية الخالق » والأحاديث الدالة على طاعة المرأة لزوجها متوافرة نذكر منها مايلى :

- عن عبد الله بن أَبِى أَوْفَى قال : « لما قَدِمَ معاذُ بنُ جبل من الشام سجَد للنبى - ﷺ - فقال له رسول الله : ماهذا ؟ قال : يارسول الله قَدِمْتُ الشام فوجدتهم يسجدون لبطارِقَتِهم وأساقِفِهم ، فأَرَدْتُ أن أفعلَ ذلكَ بِكَ . قال : فلا تفعل ، فإنى لو أمرت أحدًا أن يسجدَ لأحد لأمرت المرأةَ أن تسجدَ لزوجها ، والذى نفسى بيده لا تُؤَدِّى المرأةُ حَقَّ ربهَاّ حتى تُؤَدِّىَ حَقَّ زوجها » (٢) .

---

(١) رواه ابن حبان والحاكم واللفظ للأول .

(٢) رواه أبو داود .

- عن عائشة قالت : سألت رسول الله - ﷺ - أَىُّ الناسِ أعْظَمُ حقًّا على المرأة ؟

قال : زوجُها . قلت : فَأَىُّ الناسِ أعظمُ حقًّا على الرجل ؟ قال : أمه » (١) .

- روت أم سلمة أن رسول الله - ﷺ - قال : « أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة » (٢) .

- عن أبى هريرة قال : قال رسول الله - ﷺ - : « إذا صَلَّتِ المرأةُ خَمْسَهَا ، وحَصَّنَتْ فَرْجَهَا ، وأطاعت بَعْلَهَا ، دخلت الجنة من أى الأبواب شاءت » (٣) .

٣ - حُسن التَّبَعُّل :

فعلى المرأة المطيعة لزوجها أن تكونَ مُرْهَفَةَ الحِسِّ فى حَضْرَةِ زَوْجِهَا ، تطلب مَرْضَاتِه ، وتُوَفِّر له القسط الأكبر من الراحة والقَرَار فى البيت ، ويكون ذلك بأن تسكت عند كلامه فى غير إعراض عنه أو عدم مبالاة به ، تُدَاوِمُ على الزينة بحضرته ، وتتركها فى غيبته ، تعرض نفسها له عند النوم ، كل ذلك فى غير تكلف ، فإنها إن فعلت ذلك وداومت عليه بحيث أصبح لها خُلُقًا وسَجِيَّة فإنها سَتَكْسِبُ مرضاته ، وفى ذلك طريقها إلى الجنة مع إتيانها بقية المأمورات وتجنب المنهيات .

---

(١) رواه أبو داود .

(٢) رواه ابن ماجه والترمذى وحسنه .

(٣) رواه ابن حبان .

ومن الآثار والأخبار الدالة على ثواب حسن التبعل ما نذكره فيما يلى :

• روى الإمام مسلم فى صحيحه أن أسماءَ بنتَ يزيد بن السَّكَنِ الأنْصَارية – خطيبةَ النساء – أتت إلى النبى – ﷺ – وهو بين أصحابه فقالت : بِأَبِى أنت وأمى يارسول الله ، أنا وَافِدَةُ النساء إليك ، إن الله بعثك بالحق للرجال والنساء كافَّةً فآمَنَّا بك واتَبَعْنَاك ، وإنا – معشرَ النساء – محصورات قواعد بيوتكم ، وحاملات أولادكم ، وإنكم معشرَ الرجال فُضِّلْتُمْ علينا بالجُمَع والجماعات ، وعيادة المرضى ، وشهود الجنائز ، والحج بعد الحج ، وأفضل من ذلك الجهاد فى سبيل الله – عز وجل – وإن أحدكم إذا خرج حاجًّا أو معتمراً أو مجاهدًا حَفِظْنَا لكم أموالكم ، وغَزَلْنَا أثوابَكم ، ورَبَّيْنَا لكم أولادَكم ، أَفَنُشَارِكُكُم فى هذا الأجر ؟ فالْتَفَتَ النبىُّ – ﷺ – بوجهه كله إلى أصحابه ثم قال : أَسَمِعْتُم مسْأَلَةَ امرأةٍ قط أحسنَ من مسألتها فى أمر دينها من هذه ؟ فقالوا : يارسول الله ماظننَّا أن امرأة تهتدى إلى مثل هذا ، فالتفت النبى إليها ثم قال : « اِفْهَمِى أيتها المرأة وأَعْلِمى مَنْ خلفَكِ من النساء أن حسنَ تبعل المرأة لزوجها وطلبَها لمرضاته ، واتباعها موافقته ، يَعْدِلُ ذلك كلَّه » .

فانصرفت وهى تُهَلِّل ، حتى وصلت إلى نساء قومها من العرب ، وعرضت عليهن ماقاله رسول الله – ﷺ – فَفَرِحْنَ .

• روى البخارى فى صحيحه عن أسماء بنت أبى بكر الصديق – رضى الله عنهما – قالت : « تزوجتُ الزبيرَ (أى ابن العوام) ، ومالَه فى الأرض من مال ولا مملوك ولا شىء غير نَاضِح (جمل يستقى عليه الماء) وغير فرسة ، فكنت أعلف فرسه وأستقى الماء وأخْرِزُ غَرْبَه وأَعْجِن ، ولم أكن أُحْسِنُ أَخْبِزُ ، فكان يخبز جارات لى من الأنصار ، وكُنَّ نِسْوَةَ صِدْق ، وكنتُ أَنقلُ النَّوَى من أرض الزبير – التى أقطعه رسول الله – ﷺ – على رأسى ، وهى مِنِّى

على ثلث فرسخ ، فجئت يوماً والنوى على رأسى ، فلقيتُ رسول الله - ﷺ - ومعه نفر من الأنصار ، فدعانى ، ثم قال : إخ إخ (ليبرك البعير على الأرض فأركبَ) ، ليحملنى خلفه ، فاستحييت أن أسير مع الرجال ، وذكرت الزبير وغيرته - وكان أغْيَرَ الناس - فعرف رسول الله أنى قد اسْتَحْيَيْتُ ، فمضى ، فجئت الزبيرَ فقلت : لَقِيَنِي رسول الله وعلى رأسى النَّوَى ومعه نفر من أصحابه ، فأناخ لأركب ، فاستحييتُ منه وَعَرَفْتُ غَيْرَتَك ، فقال : والله لَحَمْلُكِ النَّوَى كان أشدَّ عَلَىَّ من ركوبك معه .

قالت : حتى أرسلَ إلَىَّ أبو بكر بعد ذلك بخادم تكفينى سياسة الفرس ، فكَأَنَّما أعْتَقَنِى .

- روى الأصْمَعِىُّ قال : دخلت البادية ، فإذا أنا بامرأة من أحسن الناس وجهًا تحت رجل من أقبح الناس وجهًا ؛ فقلت لها : ياهذه ، أتَرْضَيْنَ أن تكونى تحتَ مِثله ؟ فقالت : ياهذا ، اسْكُتْ ، فقد أَسَأْت فى قولك ، لَعَلَّه أحْسَنَ فيما بينه وبين خالقه فجعلنى ثوابه ، أو لَعَلّنِى أسَأْتُ فيما بينى وبين خالقى فجعله عقُوبتِى ، أفَلاَ ترضى بمارَضِىَ الله لى ؟ فأَسْكَتَتْنِى [1] .

التعليق على هذه الآثار :

نحن نرى أن النبى - ﷺ - أخبر أسماء بنت يزيد بأن حسن تبعل المرأة لزوجها له فضل عظيم ، حيث يعدل ثواب حضور الصلاة فى جماعة وحضور صلاة الجمعة وعيادة المريض وشهود الجنائز ، والمداومة على الحج والجهاد فى سبيل الله بالنسبة للرجال فانفرجت أساريرها وأبلغت النساء بما سمعته من رسول الله - ﷺ - فَسُرِرْنَ بذلك .

---

(١) إحياء علوم الدين ٥٧١/٤ الشعب .

أما ذات النطاقين أسماء بنت أبى بكر ، زوج الزبير بن العوام ، فقد كانت مثلاً يُحْتَذَى فى مختلف أدوار حياتها (أُمًّا وزوجة وبنتًا) ، وكان زوجها الزبير شديد الغيرة عليها ، وأدركت منه هذا الشعور ، فلم تَسْتَغِلَّهُ ضِدَّه – كما يفعل من لا خلاق لهنَّ – بل إنها لم تَدَّخِرْ وُسْعاً فى المحافظة على شعوره هذا ، وأبعد من هذا ، فقد كانت تعاونه فى عمل الحقل وسياسة فرسه ، وبلغ من احترام شعوره أنها استَحْيَتْ أن تركب خَلْفَ النبى – ﷺ – بما معها من نوى ؛ لأنها تذكرت غيرة زوجها ، ولم يكن فى ركوبها خلف النبى مخالفة ، فقد كان مَحْرَماً لها فى ذلك الوقت ؛ لأنه زوج أختها عائشة رضى الله عنها .

وفى النص الثالث نجد الزوجة الجميلة لا تثور على دَمَامَةِ زوجها ، ولم تبغ الخلاصَ منه ، وإنما حَلَّلَتْ موقفها تحليلَ المؤمناتِ الصادقاتِ ، وأنه قَدَرُ الله وهى به راضية !!

٤ – أن تكون أمينة على عرضه وماله :

ويقتضى ذلك ألا تخونه فى فراشه ، فلا تُدْخِلُ أحدًا من الرجال حالَ غيابه فى بيته أو فراشه ، مهما كانت الدواعى والدوافع ؛ لأن ذلك يُوغِرُ صَدْرَ الزوج ، وَيَجُرُّ على البيوت المهالكَ والويلاتِ ، ونَاهِيكَ عن دخول الأصدقاء ، وما يترتب عليه من مفاسد ، طَفَحَتْ بها أخبار الحوادِث ، وخَرِبَتْ بسببها البيوتُ ، وشُرِّدَ الأطفال ، ومن خطبة النبى – ﷺ – فى حجة الوداع : « ألا إن لكم على نسائكم حقًّا ، ولنسائكم عليكم حقًّا ، فحقكم عليهن أن لا يُوطِئْنَ فُرُشكم مَنْ تكرهون ، ولا يأْذَنَّ فى بيوتكم لمن تكرهون » .

وقد روى الحاكم أن رسول الله – ﷺ – قال : « لا يحِل لامرأة تؤمن بالله أن تأذن فى بيت زوجها وهو كاره ، ولا تخرج وهو كارِه ، ولا تطيع فيه أحدًا ، ولا تَعْتزِل فِرَاشَه ولا تضربه ، فإن كان هو أظلم فلتأته حتى تُرضِيهُ ،

فإن قَبِلَ منها فبها ونِعْمَتْ وقَبِلَ الله عذرها ، وأفلح حُجَّتها ولا إثم عليها ، وإن هو لم يرْض فقد أبلغت عند الله عذرها » وهو حديث صحيح الإسناد .

ومن الأمانة ألَّا تخونه فى ماله ، فلا تتصرف فى شىء منه بغير إذنه ، فإن أطعَمَتْ من ماله برضاه كان لها مثلُ أجره ، وإن أطعمت بغير إذنه كان له الأجر وعليها الوِزْر .

٥ - رؤيتها القليلَ منه كثيرًا :

على المرأة أن ترى القليل من زوجها كثيرًا ، وأن تقابل فعله بالشكر ، وأن ترى حاله بالفضل ، وألا تقول له مقالة الجاهلات : ما رأيتُ منك خيرًا قط ، أو شيئًا من هذا القبيل ، فعن طلحة بن عبيد الله قال : سمعت رسول الله - ﷺ - يقول : « أيما امرأة قالت لزوجها مارأيت منك خيرًا قطُّ إلا آيَسَهَا الله من رحمته يوم القيامة » .

وقال رسول الله أيضًا : « إن الله لا ينظر إلى امرأة لا تشكر زوجها » .

٦ - إكرام أهل الزوج :

أوجب الله للزوج على زوجته أن تكرمَ أهله ، وتَلْقَاهُم بالوُدِّ والتّرحَاب ، وأن تبذل لهم الخيرَ والفضلَ ، وألَّا تَعْبَسَ فى وجوههم ، فكل ذلك يجلب رضاءَهم ، ويبقى حَبْلَ وُدِّها بزوجها متصلًا ، الأمر الذى يعود عليها بالخير والبركة .

٧ - الوفاء للزوج :

إذا كان الإسلام قد أوجب على الزوج أن يكون وفيًّا لزوجته فإنه قد أوجب عليها أن تكون وفيَّةً له أيضًا ، وما ذاك إلا لأن الوفاء خلق جميل ، ينم

عن الأصالة والإيمان الصادق والإخلاص ، وأحوج ما يكون الإنسان إلى الوفاء عند الأزمات ، والزوجة الوفية هى التى تدرك ذلك المعنى ، فتؤثر راحة زوجها على راحة نفسها ، وحتى تتضح لنا قيمة وفاء الزوجة لزوجها فسنذكر جانباً من الوفاء فيما يلى :

• شكا أعرابى من بنى عذرة إلى معاوية بن أبى سفيان عاملَه مروان بن الحكم ، وذلك لرغبته فى التفريق بين العذرى وزوجته رغماً عنها لفقر نزل بزوجها بعد عِزّ ، ولرغبة مروان فى أن يتزوج منها لجمالها ، فلما حضرت أمام معاوية قال لزوجها مَازِحًا : نُخَيِّرُها بيننا . فقال الزوج الواثق من مشاعر زوجته : ذلك إليك يا أمير المؤمنين . فقال لها معاوية : يا سُعْدى ، أينا أحب إليك : أمير المؤمنين فى عزه وشرفه وقصوره ، أم مروان بن الحكم فى غَضَبه واعتدائه ، أم هذا الأعرابى (زوجها) فى جُوعه وأَطْمَاره (ثيابه البالية) ؟ .

فأشارت الجارية إلى ابن عمها وزوجِها الأعرابى وأنشدت تقول :

هذا وإن كان فى جوع وأطمارِ
أَعَزُّ عِنْدىَ من أهلى ومن جارى
وصاحبِ التاجِ أو مروانَ عامِلِه
وكلِّ ذى درهم منهم ودينـارِ

ثم قالت : لستُ والله يا أمير المؤمنين لِحَدَثَان الدهر بِخَاذِلَتِه ، ولقد كانت لى معيشة راضية ، وأنا أحق من صبر معه على الضراء والسراء ، وعلى الشدة والرخاء ، وعلى العافية والبلاء ، وعلى القسم الذى كتب الله لى معه . فأعجب معاوية بعقلها وكما لها ومروءتها ، وأمر لها بعشرة آلاف درهم ، وألحقها بصدقات بيت مال المسلمين » [1] .

---

(١) انظر نظام الأسرة فى الإسلام ص ١٣٣ .

• رفع ولىُّ أمر زوجةٍ على زوج ابنته دعوى يطالبه فيها بخمسمائة درهم قيمة صداق ابنته ، وفى مجلس القضاء طلب القاضى الشهود ، فلما حضروا.قال القاضى للمرأة : أسْفِرِى عن وجهك (أى اكشفى عنه) ليراك الشاهد ويشير إليكِ بأنك صاحبة الحق .

فقال الزوج : والله لا يرى وجهها أجنبى . أنا مقرٌّ بالدعوى بلا حاجة إلى شهود .

وقالت المرأة : صدق أبى ، ولكنى أُبَرِّئُ زوجى من صداق الذى فى رقبته فى الدنيا والآخرة .

فقال القاضى : يكتب هذا فى مكارم الأخلاق [1] .

* * *

(١) المرجع السابق

openkandl.com

ثالثاً : نصوص تؤكد حق الزوج على زوجته :

- عن أبى هريرة قال : « جاءت امرأة إلى رسول الله – ﷺ – فقالت : أنا فلانة بنت فلان ، قال : قد عرفتُك ، فما حاجتك ؟ قالت : حاجتى إلى ابن عمى فلان العابد ، قال : لقد عرفته ، قالت : يخطبنى ، فأخْبِرْنِى ماحقُّ الزوج على الزوجة ،فإن كان شيئاً أطيقه تزوجته ، قال : من حقه أن لوسال منخراه دمًا وقيحاً فَلَحَسَتْهُ بلسانها ما أدت حقه ، لو كان ينبغى لبشر أن يسجد لبشر لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها إذا دخل عليها لما فَضَّله الله عليها . قالت : والذى بعثك بالحق لا أتزوج مابَقِيَتْ الدنيا » (١) .

- عن حُصَيْن بن مُحْصِن أن عمةً له أنت النبى – ﷺ – فقال لها : « أذاتُ زوج أنْتِ ؟ قالت : نعم . قال : فأين أنتِ منه ؟ قالت : ما آلوه إلا ما عجزتُ عنه ، قال : فكيف أنت له ، فإنه جنتك ونارك » ؟ (٢) .

- عن ابن عباس ، عن النبى – ﷺ – قال : « ثلاثة لا تُرفع صلاتُهم فوق رءوسهم شبرًا : رجلٌ أمَّ قومًا وهم له كارهون ، وامرأة باتت وزوجها عليها ساخط ، وأخوان منصرمان (منقطعان) » (٣) .

* * *

---

(١) رواه البزار والحاكم وقال صحيح الإسناد .

(٢) رواه أحمد والنسائى بإسْنَادَيْن جيدين ، والحاكم ، وقال : صحيح الإسناد .

(٣) رواه ابن حبان وابن ماجه،واللفظ لابن ماجه .

obeikandl.com

رابعًا : المرأة المسلمة بين التحلل والالتزام :

يحق لنا فى نهاية هذا الفصل أن نُزَيّنَ جِيدَه بمُوَازَنَةٍ يتضح من خلالها قيمة التزام المرأة بمنهج الشرع ومقرراته ، وأن التحلل من هذه العُرَا يؤدى إلى أوخم العواقب على المستوى الجماعى والفردى ، فإن الله الذى خلق المرأة والرجل قد قرن بينهما فى كل شئون الحياة وتكاليفها ، وجعل لكل منهما مسئولية تضاهى مسؤلية الآخر فى أعبائها وتضحياتها ، فَلِكُلٍّ دوره الواضح المحدد الذى رسمه الخَلَّاق العليم .

وإذا كانت المرأة المسلمة قد حققت الرِّيَادَةَ والقيادة فى شتى مجالات الحياة بالتزامها وطاعتها حتى أصبحت فى جبين الدهر شامة ، فما ذاك إلا لأنها شَبَّت فى أحضان شريعة سمحة حَانِيَةٍ ، وسِعَتْ فيها رحمةُ رَبِّنَا كلَّ شىء ، وسَمِعَتْ قولَ رسول الله – ﷺ : « نعم النساء نساء الأنصار ، لم يمنعهن الحياء عن التفقه فى الدين » كما أَصْغَتْ لقول ربها : ﴿ وما جعل عليكم فى الدين من حرج ﴾ (١) .

أصل البلاء :

إن أصل البلاء ، وسبب الشقاء ، هو المحاولات المستميتة لأعداء المسلمين من المستشرقين والمستغربين ، ومَن لفَّ لفَّهم ، ودار فى فلكهم ، بِبَثِّ الأفكارِ المدمرة ، التى تفك العُرَا ، وتوهن الذُّرَا ، من نحو مساواة المرأة بالرجل ، وإيهام المرأة بأن قوامة الرجل عليها لا تعدو أن تكون لونًا من التسلط والعَسْف ، وأن هذا إن صح فى عهد الحريم ، فإنه لا يصح ولا يجوز مع المرأة فى العصر الحديث ، كما رَوَّجُوا لهذه المقولات وتلك الشائعات بشتى الوسائل وبمختلف

---

(١) سورة الحج ، جزء من الآية : ٧٨ .

الطرق ، كأجهزة الإعلام المختلفة ، كما ألبسوا هذه الشائعات أَقْنِعَةً زَائِفَةً ، أطلقوا عليها الحرية والمدنية ، وأعانهم على ذلك إِخْوَةٌ لَنَا من بَنِى جِلْدَتِنَا ، ذهبوا إلى ديارهم فَشَكَّلُوهم حسب أهوائهم ، وأعادوهم لنا معاوِلَ هَدْمٍ فأحدثوا فى القيم ما أحدثوا ! . وَيَاشَرَّ ما أحدثوا ! .

أحدثوا لدى النَّاشئة – شبابًا وفتياتٍ – أنواعًا شتى من انفصام الشخصية ، وأَوْغَرُوا صدور النساء على الرجال ، وصدور الرجال على النساء ، وعمقوا فى نفوس النساء مفهوم النِّدِّيَّة بمعناها البغيض للرجل ، فاهتزت القيم ، وساد التطلع ، وسرت السلبية واللامبالاة ، وهكذا أذكى المغرضون نار هذه المعركة الكلامية ، ناسين حيناً ، ومتناسين فى معظم الأحيان ، أن المرأة إنما وجَدَتْ ذَاتَها ، وتعرَّفَتْ على هَوِيَّتِها ، ومارَسَتْ دَوْرَها المطلوب ، وأصبح لها كيانها المصُون فى رحاب شريعة الإسلام السمحة .

ولكى تتضح الصورة فإليك هذه الطائفة من المقارنات :

• إذا كانت المرأة العصرية فى ظل هذه المبادئ الهدامة – إلا من رحم الله – قد أصبحت تجيد حفظ أغانى الحب والغرام ، وتكتوى علناً بنار الوجد والهيام ، وتُرى صاعدةً هابطةً على ما شيدوه لها من سلم موسيقى ، مَأْزُورَةً غَيْرَ مأجورة ، تغتالها الشياطين من بين يديها ومن خلفها .

• وإذا كانت المرأة العصرية فى ظل هذا التحلل ، تقضى ردحًا طويلًا من ليلها إما فى المسرح أو فى دار الخيالة (السينما) سافرة متبرجة ، مختلطة مع الرجال ، ساهيةً لاهيةً ، تَهْدِرُ وَقْتَهَا مع الزيف والخداع ، مع أحداث تلبس للواقع ألف قناع وقناع ، لا ترعى للحقوق حرمة ، ولا ترقب فى أهلها إلاًّ ولا ذمة .

فإن المرأة المسلمة الملتزمة كان واقعها على النحو التالى :

• حَفِظَتْ كتابَ ربها وَرَتَّلَتْهُ ترتيلا ، حفظت حدوده قبل أن تحفظ حروفه ، رتلته فى خلواتها وجلواتها ، مأجورة غير مأزورة ، كل حرف بحسنة ، والحسنة بعشر أمثالها ، وحفَّتها ملائكة السماء بالخير والرحمة والبركة .

• قطعت ليلها – فضلًا عن نهارها – فى بيتها ، خادمة لزوجها وأولادها ، قائمة قانتة ، وبيتها خير لها ، أمضت نهارها فى المسرح الكبير – مسرح الحياة – عارفة دورها فيه ، مؤدية له خير الأداء ، وعلى أحسن ما يكون ، أداءً حقيقيًّا ، مجردًا عن أى قناع ، مبَّرأً من أى خداع ، ﴿ ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم ﴾ (١) .

• تراءت أمام عينها الدار الآخرة ، وما أدراك ما الدار الآخرة !! .. ﴿ وإن الدار الآخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون ﴾ (٢) . شغلتها مناظر الجنة التى تأخذ بالألباب ... شغلتها مناظر الأنهار والقصور ... شغلتها الروائح والعطور ... شغلها السندس والإستبرق ، شغلها اللؤلؤ والمرجان ، والأباريق والأكواب ، التى يطوف بها الوِلْدَان والغلمان ، شغلها حديث النبى – ﷺ – : « فيها مالا عين رأت ، ولا أُذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر » ... شغلها طريق الوصول إلى هذا النعيم ، فشمرت عن ساعد الجد ، رجاء أن تحظى بهذا الرضوان ، فصدق عليها قول رسول الله – ﷺ : « من خاف أدْلَج ، ومن أدلج بلغ المنزل ، ألا إن سلعة الله غالية ، ألا إن سلعة الله هى الجنة » .

---

(١) سورة المجادلة ، جزء من الآية : ٧ .

(٢) سورة العنكبوت : ٦٤ .

• لم يغب عن مخيلتها مناظر يوم العرض على رب العالمين ، يوم تدنو الشمس من رءوس الخلائق وقد بلغ بهم الجهد إلى حد أن العرق يلجمهم إلجاما ، شغلها ذلك الموقف العظيم ، يوم يحشر الناس حُفَاةً عُراة غُرْلا (غير مختونين) ، الرجال والنساء ، ﴿ لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه ﴾ ، شغلتها مناظر النار ، من السلاسل والأغلال ، من الحميم والزقوم ، من العقارب والحيات ، من الطبقات والدركات ، شغلها ، ومازل يَرِنُّ فى سمعها يوم ينادى المنادى : ياهل الجنة خلودٌ بلا موت ، يا أهل النار خُلود بلا موت .

• شغلها كل هذا وغيره فأحسنت العمل ، وحق عليها ما جاء فى الحديث القدسى : « لا أجمع لعبدى أمْنَيْنْ ، ولا أجمع عليه خَوْفَيْن ، إن أَمِنَنى فى الدنيا أَخَفْتُه فى الآخِرة ، وإن خافنى فى الدنيا أَمَّنْتُه فى الآخرة » (١) .

ففازت ... وفازت .. وجعل الله لها لسان صدق فى الآخرين .

من المواقف المشهورة والمشهودة لمسلمات ملتزمات :

١ - خولة بنت حكيم :

استوقفت هذه المرأة عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - يومًا وقالت له : « اتقِ الله يا ابن الخطاب وانظر فى أمور الناس ، فإنه من خاف الوعيد قَرُب عليه البعيد ، ومن خشى الموت خاف الفَوْتَ » فقال لها المُعَلَّى بن الجارود العَبْدى - وكان رفيق عمر فى هذا الموقف : إيهًا يا أُمَةَ الله ، فقد أَبكيْتِ أمير المؤمنين ، فقال له عمر : اسكُتْ ، أتدرى مَن هذه ؟ ويْحك ، هذه خوْلة بنت حكيم التى سمع الله قولها من فوق سمائه ، فعمر أَحْرَى أن يَسْمَعَ لها ويقتدى .

---

(١) الاتحافات السنية فى الأحاديث القدسية للمناوى .

٢ – امرأة تراجع عمر فى تحديد مهور النساء :

ذكر الإمام ابن كثير فى تفسيره عن أبى عبد الرحمن السُّلَمى قال : قال عمر بن الخطاب : لا تغالوا فى مهور النساء ، فقالت امرأة : ليس لك ذلك ياعمر ، إن الله يقول : ﴿ وآتَيْتُمْ إحداهن قنطارًا فلا تأخذوا منه شيئًا ﴾ (١) أى من ذهب ، وكذا فى قراءة عبد الله بن مسعود ، فلا يحل لكم أن تأخذوا منه شيئًا ، فقال عمر : إن امرأة خاصمت عمرَ فَخَصَمَتْه ، حتى جعلت عمر يقول قولته الشهيرة : أخطأ عمر وأصابت امرأة ...

فأى شريعة كفلت للمرأة من الحرية وإبداء الرأى الجاد مثل المذى كفلته لها شريعة الإسلام ؟! . أى دستور من دساتير الأرض أعطاها ولو عُشْرَ مِعشَار هذه الحقوق ؟ فماذا بعد الحق إلا الضلال ؟ .

٣ – امرأة تتحدث بالقرآن :

قال عبد الله الواسطى : رأيت امرأة على جبل عرفات وهى تقول : ﴿ مَنْ يُضْلِلِ الله فما له من هادٍ * ومَنْ يهدِ الله فَمَا له من مُضِلٍّ ﴾ (٢) . فَعَلِمْتُ أنها ضَالَّة ، فقلت : أيتها المرأة من أين أقبلت ؟ قالت : ﴿ سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ﴾ (٣) فعلمت أنها من بيت المقدس ، فقلت : ما الذى جاء بكِ ؟ قالت : ﴿ ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ﴾ (٤) ، فقلت : ألك زوج ؟ قالت : ﴿ ولا تَقْفُ ماليس

---

(١) سورة النساء ، جزء من الآية : ٢٠ .

(٢) سورة الزمر : آخر الآية ٣٦ وأول الآية ٣٧ .

(٣) أول سورة الإسراء .

(٤) سورة آل عمران ، جزء من الآية : ٩٧ .

لك به علم ﴾ [1] ، فقلت : أتركبين بعيرًا ؟ قالت : ﴿ وما تفعلوا من خير يعلمه الله ﴾ [2] ، فلما أرادت الركوب قالت : ﴿ قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ﴾ [3] ، فأعْرَضْتُ عنها ، فلما رَكِبَتْ قلت : ما اسمك ؟ قالت : ﴿ واذكر فى الكتاب مريم ﴾ [4] ، وأخذ يسألها وهى تجيب على هذا النحو بآيات من القرآن ، حتى أَوْصَلَهَا إلى أولادها وسألهم عن قصتها ، فأخبروه بأنها ضلت الطريق منذ ثلاثة أيام ، وأنها قد نذرت ألا تتكلم إلا بالقرآن .

أليست هذه هى المرأة المسلمة الملتزمة ؟!

أليست هذه بعض مواقفها المشهورة والمشهودة ؟!

أليست هذه بعض مراجعاتها الجريئة والصادقة لخيار الصحابة ، لعمر الذى كان الشيطان يفر من طريقه ؟!

فإذا أرادت المرأة العصرية أن تلحق بركب الصالحين ، وتدرك من الخير مثل الذى أدركته المسلمة الملتزمة فما عليها إلا أن تُقْبِلَ على دينها تتعلم منه كل مفيد ، وتعمل بما تعلم ، وتهجر خلاعة العصر ومجونه ، وتتعرف على الدور الحقيقى المطلوب منها ، ولِيَسْتَقِرَّ فى ذهنها أن النساء شقائق الرجال ، وألا تجرى خلف كل زاعق وناعق ، وألَّا تُصْغِيَ إلا لصَوت الحق ، وألَّا تلوذَ إلا بدستور السماء فهو الذى يصونها ويحميها ..

* * *

(١) سورة الإسراء ، جزء من الآية : ٣٦ .

(٢) سورة البقرة ، جزء من الآية : ١٩٧ .

(٣) سورة النور ، جزء من الآية : ٣٠ .

(٤) سورة مريم ، جزء من الآية : ١٦ .